قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (نظرية الرواية) السنة الثانية ماستر، تخصص:نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 02

يوم: 2021/01/03

الأفواج: 01-02

عنـــوان المحاضرة: الشخصية في الرواية

الهدف من المحاضرة:

-تعرف الطالب على أهم النمذجات المقترحة لمقولة الشخصية.

-استثمار الطالب الإمكانات التحليلية لنموذج فيليب هامون.

المحاور: -تمهيد.

-الشخصية في النقد المورفولوجي.

-الشخصية في التحليل البنيوي.

-الشخصية في السيميائيات السردية.

تمهيد:

يعد مكون الشخصية مكونا هاما من مكونات الحكاية الذي يُدرس على مستواها، اهتمت به عديد الرؤى النقدية قديما وحديثا بنسب متفاوتة، وكان اهتمامها مرتهنا بالخلفيات المعرفية وبطبيعة الأسئلة المنهجية التي سعت إلى تحقيقها، لصياغة نمذجة تؤطر هذا المكون، فالشخصية في الدراسات الكلاسيكية ينظر إليها انطلاقا من التصور النفسي والاجتماعي، أي شخصية حقيقية تعكس الواقع وتجسده تخضع لنظام سيكولوجي وسوسيولوجي، في حين تغيرت التصورات المتعلقة بالشخصية من القرن العشرين متجاوزة الطروحات السابقة، نظرا لميلاد السرديات بوصفها حقلا معرفيا جديدا مستندا على اللسانيات والبنوية، يسعى إلى تقعيد المحكيات عموما، إذ إن الشخصية في تصورها وفقا لما ورد في كتاب "مستويات النص الروائي بين النظرية والتطبيق" لعبد العالي بوطيب هي "علامة **(signe)** مكونة من دال ومدلول، أو كمورفيم مزدوج التمفصل، يتميز من البداية بكونه لا يحيل على شيء، ولا يعني أي شيء، بمعنى أنه فارغ من كل دلالة مسبقة. ومن ثمة فهو يشكو مبدئيا من الفراغ الدلالي، غير أنه سرعان ما يغدو مشحونا كلما تقدم السرد". وقبل الحديث عن أهم التصورات المنهجية التي طرحها المنظرون حول الشخصية، وطرائق التعامل معها، تجدر الإشارة إلى الفروق الجوهرية بين مصطلحي الشخصية والشخص "فالشخصية في الرواية إنما تتألف فقط من الجمل التي تصفها أو التي وضعها المؤلف على لسانها. وليس لتلك الشخصية ماض أو مستقبل، وليس لها أحيانا حياة مستمرة. بينما الشخص كائن حي ينتمي لما هو واقعي وحقيقي لا متخيل له تاريخه وماضيه" فالشخصية الروائية في الدراسات المعاصرة يمكن أن تكون أيضا نبات، حيوان وجماد. كما ورد ذلك في الكتاب السابق الذكر، وبهذا المعنى فالشخصية الروائية لها ضوابط تقننها.

*الشخصية في النقد المورفولوجي:

كرس الشكلاني الروسي فلادمير يروب جهوده لطرح خطاطة منهجية تؤطر الحكايات الشعبية بتنوعاتها، مستندا في ذلك على اللسانيات، فبحث عن الثابت والمتغير في الخرافة، فالثابت في تصوره الوظيفة بوصفها فعل الشخصية، أما المتغير فهو أسماء الشخصيات وأوصافها، إذ إنه يقر بأن ماهو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، أما من فعل هذا الشيء أو ذاك وكيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لا غير"

وعلى هذا الأساس فقد اهتم يروب بالوظيفة وأهمل الشخصيات إذ انتهى إلى أن "ثمة دوائر عمل سبعا لا تخرج عنها مختلف شخصيات الخرافة. وهذه الدوائر التي تمثل أدوارا هي المعتدي الواهب، مساعد الأميرة وأبيها والمرسِل والبطل والبطل الزائف"

وعلى هذا الأساس فالشخصية في التحليل المورفولوجي تحدد بمجموع الأعمال التي تقوم بها على تنوعها لا بصفاتها ولا بخصائصها.

*الشخصية في التحليل البنيوي:

اهتمت السرديات بمكون الشخصية، مستفيدة من اللسانيات وأبحاث الشكلاني الروس فعلى مستوى الأفعال حاول رولان بارت مناقشة طروحات المنظرين لمبحث الشخصية، إذ إنه يتعامل معها "انطلاقا من إسهامها داخل حلقة من الأفعال" أي دراسة الشخصية من حيث مشاركتها في مستوى الأفعال. فالشخصية في تصوره كما ورد في معجم السرديات "كائنا ورقيا متخيلا"، أو كما جاء في كتاب "بنية النص السردي" لحميد لحمداني "نتاج عمل تأليفي" أي إن "هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم علم يتكرر ظهوره في الحكي".

وناقش تودوروف معيار تأطير علاقة الشخصيات بعد ضبطه لمنطق الأفعال إذ اختزلها إلى ثلاث علاقات: علاقة الرغبة، وعلاقة التواصل، وعلاقة المشاركة، يرى بأن كل علاقة تتوفر على قدر كبير من العمومية "وتشكل كل علاقة من هذه العلاقات محورا تتحدر منه مجموعة من العلاقات الجزئية التي تتخذ بعدا تنازليا استبداليا ينسجم مع الإطار العام لهذه العلاقة"، وعلى هذا الأساس حدد معيار رصد علاقات الشخصيات.

***الشخصية في السيميائيات السردية:**

استفاد غريماس من تصورات يروب للشخصية، وسعى إلى بلورة نموذج أكثر دقة، فعمّق مسألة دوائر الفعل ليقدم "أقطابه الفاعليّة الأساسية الستة، وهي الموزعة أزواجا: الذات والموضوع وتربطهما علاقة رغبة. والمرسِل والمرسَل إليه وتربطهما علاقة تواصل، والمساعد والمعارض وتصلهما علاقة صراع". وقد أجمعت الدراسات أن مصطلحي العامل، والممثل من المصطلحات البديلة عن مصطلح الشخصية في الدراسات السيميائية السردية، وفي هذا السياق وضح حميد لحمداني في كتابه السابق الذكر أنه "ليس من الضروري أن تكون الشخصية هي شخص واحد. ذلك أن العامل في تصور غريماس يمكن أن يكون ممثلا بممثلين متعددين، كما أنه ليس من الضروري أن يكون العامل شخصا ممثلا، فقد يكون مجرد فكرة كفكرة الدهر، أو التاريخ، وقد يكون جمادا أو حيوانا إلخ.

هكذا تصبح الشخصية مجرد دور ما يُؤدَّى في الحكي بغض النظر عمن يؤديه. إن مفهوم الشخصية الحكائية عند غريماس يمكن التمييز فيه بين مستويين:

–مستوى عاملي تتخذ فيه الشخصية مفهوما شموليا مجردا يهتم بالأدوار، ولا يهتم بالذوات المنجزة لها.

–ومستوى "ممثِّلي (نسبة إلى الممثل) تتخذ فيه الشخصية صورة فرد يقوم بدور ما في الحكي، فهو شخص فاعل، يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد أو عدة أدوار عاملية"

وعلى هذا الأساس يشكل النموذج العاملي إجراء بعلاقاته "تصنيفا مقولبا لمجموعة من الأدوار التي تصادفها في كل الحكايات بشكل كلي أو جزئي". كما أورده الناقد السعيد بنكراد في كتابه "السيميائيات السردية".

أسهم فيليب هامون بشكل كبير في إغناء الدراسات النقدية السردية بتصورات جديدة ضمن مبحث السيميائيات السردية لمقولة الشخصية في كتابه "سيميولوجية الشخصيات الروائية". فشكل نموذجه النقدي مجالا حيويا لمقاربة الشخصية، إذ أجمعت جل الدراسات على أنه الأنضج والأكثر كفاءة أدائية على صعيد الممارسة. حدد هامون الشخصية في كونها "علامة فارغة أي بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد، إنها كائنات من ورد على حد تعبير رولان بارت". وبهذا المعنى أكد الباحث محمد فليح الجبوري في كتابه "الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث" أن فيليب هامون قد "أخضع الشخصية السردية لمختبرين: الأول مختبر اللسانيات وتحلى بإخضاعها لقضية الدال والمدلول بوصفها علامة على غرار العلامة اللسانية، فحاول تطبيق ما جاءت به اللسانيات على الشخصية السردية عن طريق مفهومي دال الشخصية ومدلولها... ثم أخضع الشخصية مرة أخرى لمختبر السيميائيات وهو ذاته الذي انطلق منه بكونه غاية وهدفا، فاستحضر واستعان بما قال به غريماس في البنية العاملية ومخططه المعروف بالمربع السيميائي، فضلا عن هذين المختبرين، نجده يلمح إلى المرجعيات الخارجية للشخصية، وكذلك إلى أثر المتلقي في صياغة مدلولات الشخصيات المتنوعة".

وعلى هذا الأساس نظر هامون إلى الشخصية بوصفها دالاً ومدلولا، إذ تعامل معها كدال "من خلال مكوناتها وأبعادها الوصفية الداخلية والخارجية، مع التركيز على اسم العلم، والضمير والتشخيص البلاغي، ومن حيث المدلول يتم الحديث عن السمات المعجمية، ومقومات الشخصية، والمحاور الدلالية، ومعايير تقديم الشخصية. ويمكن الانفتاح سيميائيا على الوظائف السردية والأدوار الغرضية، والمربع السيميائي والبنية العاملية" وهذا ما أورده

الباحث جميل حمداوي في كتابه "الاتجاهات السيميوطيقية" ولتفعيل نموذجه التحليلي صنف هامون الشخصيات إلى فئات ثلاثة، أوردها في كتابه السابق الذكر، وهي على النحو الآتي:

1-الشخصيات المرجعية: وهي شخصيات تحيل على العالم الخارجي تتمثل في الشخصيات التاريخية والشخصيات المجازية، والشخصيات الأسطورية...

2-الشخصيات الإشارية: تتمثل في حُضور الألفاظ التي تنوب عن الشخصيات (الضمائر) مثلا.

3-الشخصيات الاستذكارية: شخصيات تؤنث النص السردي عبر تقنيتي الاسترجاع والاستذكار، وتتمثل في التمني والتكهن والذكرى والاسترجاع.

وقد أشار معجم السرديات إلى أن فيليب هامون عمل على "بلورة تصور سيميائي دلالي للشخصية عندما تحدث عما أسماه أثر الشخصية، واعتبر أن ما به تحد هو بطاقتها الدلالية. وهي ليس معطّى جاهزا، بل هي إنشاء يتم تدريجيا على امتداد القراءة. ونبّه هامون لكون الشخصية ليست حصرا ذات مفهوم أدبي، ولا شكل إنساني، فالأواني في المطبخ، على سبيل المثال قد تكون في رواية ما شخصيات، وتوافر الشخصية في النص السردي رهين تظافر أدوار ثلاثة هي الدور الفاعلي، وفيه يُنظر في انتماء الشخصية إلى أحد الفواعل الستة، والدور التمثيلي وفيه يُرى من ينهض بهذا الدور الفاعلي أو ذاك بقطع النظر عن الشكل الإنساني أو عن عدد الممثلين الفعلي، والدور الغرضي وفيه يُحدد الدور الاجتماعي الثقافي النفسي للشخصية".

المراجع المعتمدة:

1-عبد العالي بوطيب: مستويات تحليل النص الروائي بين النظرية والتطبيق.

2-قلادمير يروب: مورفولوجيا الخرافة.

3-محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات.

4-عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي.

5-سعيد بنكراد: السيميائيات السردية.

6-فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية.

7-جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية.

8-حميد لحمداني: بنية النص السردي.